

اختيار شريك الحياة بين المظاهر والجواهر

life partner between appearances and inner qualities

عبد الله آسيا²بلغول مريم^{1*}

sardouhassan@gmail.com

sardouhassan@gmail.com

¹ جامعة وهران 2 محمد بن أحمد -- مخبر البحث في التربية والتنمية وهران، الجزائر² جامعة وهران 2 محمد بن أحمد -- مخبر البحث في التربية والتنمية وهران، الجزائر

تاريخ النشر: 2021/12/31

تاريخ القبول: 2021/07/03

تاريخ الإرسال: 2021/05/01

ملخص:

إن عملية الاختيار للزواج من بين أهم اللبنيات في بناء أسرة قوية قادرة على الاستمرار. هدفها الاستقرار، وذلك في تقديم الأسس الجوهرية لا المظاهر الزائفة من مال فانٍ وجمال زائل وتفاخر قد لا يصلح لبناء أسرة، وإنما الجواهر الحقيقية التي يقوم عليها الزواج هي الدين والخلق أولاً. بالإضافة إلى ضرورة تعلم الشريك، وإن كنا لا نقصد بذلك المستوى التعليمي العالي وإنما المطلوب الوعي والثقافة تماشياً مع متطلبات الحياة التي عرفت تعقيدات كثيرة مقارنة بالعصور السابقة. زيادة على تحمل المسؤولية من قبل الراغبين في الزواج رجالاً كانوا أم نساءً لأداء دورهم كما يجب، إذ لا يصح الزواج لغير المسؤول، فضلاً عن النضج العقلي والنفسي الذي يسمح للزوجين بالتفاهم والمرونة في التعامل مع مختلف ظروف الحياة، بالإضافة إلى تحكيم العقل في حل المشكلات وإدارة المشاعر السلبية.

كل هذه الأسس قد تسهم في نجاح الزواج لو أن الشباب والفتيات اعتمدها في الاختيار لأن الأسرة السليمة المتينة تقوم على الجواهر وليس على المظاهر.

الكلمات المفتاحية: الأسرة؛ شريك الحياة؛ المظاهر؛ الجواهر؛ الزواج.

Abstract:

The process of choosing marriage is very important in building a strong and viable family which aims at stability and that is to present the essential foundations, not the false appearances of mortal, fleeting beauty are not lasting, and pride is not suitable for building a family. Rather, the true essences on which marriage is based are religion and morality first. In addition to the need to understand the partner even if we do not mean by

* المؤلف المراسل: fgtguy@gmail.com

that higher educational level. What is required is awareness and culture in line with the requirements of life, which has known many complications compared to previous decades. In addition to taking responsibility for those wishing to marry, whether men or women, to fulfil their role properly, as marriage is not valid for those who are not responsible, in addition to the mental and psychological maturity that allows the spouses to understand and be flexible in dealing with different life circumstances, and to the arbitration of the mind in solving problems and managing emotions Negativity. All of these foundations may contribute to the success of marriage if young men and women adopt them in choosing because a healthy and solid family is based on inner qualities and not on appearances.

Key words: family ; life partner ; appearances ; inner qualities ; marriage.

1. مقدمة:

من المعروف أن بناء الأسرة هو أخطر بناء في كيان المجتمع بل في كيان الأمة بأسرها إذ تتوقف عليه سلامة وصلابة المجتمع، ولهذا من الواجب على الراغب في الزواج أن يحسن اختيار شريك حياته، ولقد عرفت معايير الاختيار الزوجي تغيرات كثيرة في عصر كثرت فيه المتطلبات وتعقدت الحياة وأصبحت الكماليات ضروريات، حيث نجد الشباب اليوم لا يوافقون على الاقتران بأي امرأة مثلما كان أبائنا سابقا.

إذ يفضل ذات المال الكثير والجمال الباهر والنسب البراق على تلك الماكثة في البيت القائمة على شؤون المنزل مع مستوى اجتماعي واقتصادي متواضع، وكذلك هو الحال بالنسبة للفتاة الراغبة في الزواج إذ أننا نجدها هي الأخرى لا تكتفي برجل منفق قوام على شؤون بيته ومن أسرة كريمة بل أنها تحرص على صاحب الدخل الرفيع حتى تعيش معه حياة لم تعشها من قبل فضلا عن التفاخر والتباهي أمام الأقارب والأصدقاء.

ولقد ساد في عصرنا الحالي أن الشاب لا يتزوج بفتاة قبل ان يتعرف عليها جيدا فيقيم معها علاقة عاطفية تكون الخطوة الأولى في طريق الزواج تاركا الخطبة آخر شيء، والكثير من الفتيات أيضا يصرحن أنه يستحيل التزوج بشخص لم يسبق لهن معرفته أو إقامة صداقة معه ظنا منهن أن الحب الكبير والعواطف الجياشة قبل الزواج هي سر السعادة بعده.

وفي الواقع أن الزواج هو ميثاق غليظ وعقد دائم وعشرة أبدية لا يصح الارتكاز فيه على المظاهر التي لا تصلح وحدها لبناء أسرة بل يجب الاعتماد في اختيار الشريك على

أسس واقعية ومبادئ جوهريّة قد تضمن استقرار الأسرة واستمرارها لأن الخيوط الواهية سرعان ما تتمزق والبناء الهش مصيره السقوط والانهيار، وبناءً على هذا، فإننا نؤكد على حسن اختيار كل من الشاب والفتاة للزوج المناسب الذي يتوفر على مواصفات الدين والخلق والوعي والقدرة على الإنفاق بالنسبة للرجل وتحمل مسؤوليات البيت ورعايته بالنسبة للمرأة ولكل الحرية في باقي المعايير كالجمال ودرجاته والتعليم ومستوياته الخ.

ومن خلال هذا التقديم حول أسس الاختيار الزوجي السائدة في الواقع إضافة إلى التطرق إلى ما ينبغي أن يكون ستحاول الطالبة الباحثة التعرّيج على المظاهر والجواهر التي تحكم بناء الأسرة منطلقاً من الإشكال التالي:

كيف يمكن للراغبين في الزواج الموازنة بين المظاهر والجواهر في اختيار شريك الحياة ؟
2. العوامل المؤثرة في اختيار شريك الحياة.

قد تتأثر عملية اختيار شريك الحياة حسب الأستاذ ناصر حسين القريشي بالعوامل التالية:

1.2 فكرة الشريك المثالي:

إنّ هذه الفكرة تشير أنّ لكل شاب وشابة فكرة أو صورة مثالية عن الشريك الذي يرغب في الزواج منه، حيث تكون لديهم صورة متكاملة عن الصفات الشكلية والعقلية والخلقية والعاطفية والاجتماعية المرغوب توافرها في الشريك. وهذه الفكرة المسبقة تبعد عدداً كبيراً من الأشخاص عن مجال الاختيار، إذ يبعد الزواج غالباً من الذين يختلفون عن المرء عرقياً أو اجتماعياً أو ثقافياً أو قومياً أو دينياً أو خلقياً.. الخ.

وأكد علماء النفس أن فكرة الشريك المثالي عادة ما تتبلور في سن المراهقة وتظهر لدى الشباب في أجلى صورها وأهميتها، فيتحدثون عن فتاة الأحلام أو فارس الأحلام بصفاتهم المحببة، ويحلمون بلقائهم، ويبحثون عنهم ليحققوا آمالهم.

وقام عدد من علماء الاجتماع العائلي بدراسات حول شريك الحياة المثالي من أبرزها دراسات (برجس والين) و(انسلم) و(اودري)، كلها تركز على أهمية فكرة الشريك المثالي في عملية الاختيار. وقد وجدت أنّ الشباب من الذكور يركزون على الشكل والمظهر والجمال في فتاة الأحلام أكثر من تركيزهم على الصفات الأخرى، بينما وجد أنّ تركيز

الفتاة يكون على شخصية فتى الأحلام وثقافته ومركزه الاجتماعي وعلى التماثل الديني والعرقى أكثر من الصفات الشكلية.

2.2 الصورة الأبوية:

ينادي البعض بأنَّ الشخص يتجه بصورة لاشعورية إلى الوقوع بحب شخص له صفات مشابهة لصفات أحد الوالدين من الجنس الآخر ويختاره شريكاً لحياته. فمنذ السنين الأولى لحياة المرء يكون لديه شعور عاطفي قوي وعلاقة متينة مع الوالدين أو أحدهما ويتأثر بهما إلى درجة كبيرة، وهذا الترابط غالباً ما يكون بين الابن وأمه والبنات وأبيها. وقد وجد (انسلم) أنَّ الشخص يتأثر في اختياره بنوعية العلاقة بينه وبين والديه، فإذا كانت إيجابية مبنية على الحب والإعجاب والاحترام فإنه يختار من يشبه الوالد أو الوالدة، أما إذا كانت العلاقة سلبية يشوبها الخوف وعدم الانسجام وعدم الاحترام، أو إذا كانت صورة العلاقة بين الوالدين غير مفضلة وغير مريحة بالنسبة للشخص فإنه قد يختار الشريك الذي يخالف الوالدين، وهنا يكون التركيز في أغلب الأحيان على الصفات الشخصية أكثر من الصفات الشكلية.

وهذا الرأي يتضمن أيضاً الصورة الأخوية، أي تأثير الإخوة والأخوات في اختيار الشريك. ومن الطبيعي أنَّ تأثير العائلة والعلاقات العائلية واضح في تكوين هذه الصورة، وقد يكون تأثيرها في بعض الأحيان مباشر إلا أنَّه غالباً ما يكون بصورة لاشعورية.

3.2 الاختلاف:

على الرغم من أنَّ التشابه يعدّ من أقوى العوامل المحددة في مجال اختيار شريك الحياة؛ إلا أنَّ هناك من ينادي بأهمية الاختلاف أيضاً في تحديد مجال الاختيار، إذ أنَّ المتضادين في بعض الأحيان قد ينجذبون لبعضهم أكثر من المتشابهين، فالاختلاف يجلب الانتباه ويربط بين الطرفين بقوة حيث تكمل الصفات المختلفة لدى كل منهما وبالتالي ينجم عن ذلك الإشباع والمتعة والتنوع والسعادة في الحياة الزوجية.

فالاختلاف يقضي على الملل الناجم عن التشابه التام بين الزوجين، مثلاً قد ينجذب القوي للضعيف، العصبي للمترن الهادئ الطباع، الاعتدائي للمسالمة.. وهكذا. إنَّ هذا القول لا يؤيده الواقع في أغلب الأحيان، كما لا تسنده دراسات علمية ثابتة، صحيح أنَّ التنوع والاختلافات الفردية الجزئية قد تجذب الطرفين لبعضهما حدٍ ما، وقد تضيف متعة على حياة الزوجين، وتقضي على الملل الناتج عن التشابه المطلق، إلا

أن الرغبات والهوايات المشتركة والمتشابهة أو المتقاربة تعطي للحياة الزوجية والعائلية قوة وترابطاً ومنتعة لا يمكن لأي شيء آخر في الحياة إعطاءها، فعامل التشابه أقوى بكثير من عامل الاختلاف في جذب الطرفين بالرغم من أن عامل الاختلاف قد يعدّ عاملاً مساعداً على الاختيار لكثته في حالات استثنائية فردية معتمدة على شخصية الطرفين وتكيفهم المشترك، فإذا وصفنا الاختلاف على أنه قاعدة عامة في الاختيار لوجدنا أن الذكي يتزوج بغبية، والضخم بالضئيل والطويل بالقصير والمتقف بالجاهل.

لقد وجدت أغلب الدراسات حول دور التشابه والاختلاف في تحديد اختيار الشريك أن التشابه يلعب الدور الأكبر في هذه العملية، فوجدت أن هناك تشابهاً كبيراً في الصفات الاجتماعية للخطيبين خاصة ضمن الفئة المتوسطة وكذلك بالنسبة للصفات الشخصية والاتجاهات والرغبات. (هوادف، 2006: 35-37)

3. معايير الاختيار الزوجي:

من المعروف أن لكل من الشباب والشابات أهداف يرغبون في تحقيقها من خلال الزواج، والتي تختلف حسب البيئة الأسرية، الوازع الديني، المستوى الثقافي، طريقة التفكير، النضج العقلي والوجداني للراغبين في الزواج.

ومما لا شك فيه أن الهدف من الزواج يؤدي دوراً هاماً في تحديد المعايير التي يركز عليها الشباب في اختيار شريك الحياة، ولقد أكدت أبحاث علمية أن السبب الرئيس في الزيجات الفاشلة هو عدم وجود أهداف واضحة قبل الزواج، وهنا يمكننا القول أنه كلما كانت الأهداف من الزواج سليمة كلما كانت أسس الاختيار صحيحة وهذا ما يحقق التوافق والاستقرار الذي ينشده الراغبون في بناء أسرة صالحة وقوية، ولقد أثبتت الدراسات أن الطلاق غالباً ما يرجع إلى سوء الاختيار الزوجي، وفي ما يلي سنتطرق الطالبة الباحثة إلى أسس اختيار شريك الحياة مع تبيان خطورة سوء الاختيار.

1.3 المال والغنى:

لقد أصبح المال مطلباً أساسياً يشترطه الكثير من الراغبين في الزواج باعتقادهم أنه عامل لا غنى عنه في الحصول على سعادة الحياة ورغد العيش، فصارت المخطوبة تسأل عن راتب خاظمها وإن كان ذلك حقاً لها إذ لا ينبغي أن تتزوج ببطلال مثلاً، إلا أن الكثيرات يزيلون كل الاعتبارات الأخرى من خلق ودين ووعي وتعلم وغيرها، لأن راتب الخاظم لا يكفيها لسد احتياجاتها التي تفوق المعقول فهي ليست تلك الزوجة التي تأكل

وتشرب بالمعروف في بيت زوجها وإنما تتعدى احتياجاتها إلى مستحضرات تجميل ووسائل مختلفة قد لا تستعملها إلا نادرا، بالإضافة إلى رغبتها الملحة في شراء كل ما يعرض في الأسواق من ملابس حديثة ذات مودة حتى تكون مواكبة في نظرها، ناهيك عن المبالغة في حضور المناسبات والزيارات والجولات ما ينتج عن ذلك من تبذير مالي .

ومن الفتيات من لا تقبل إلا بغني تستغله حسن استغلال لتعيش مرفهة منعمة على خلاف الفقر الذي كانت تعانیه في بيت أبيها، فلا تتوقف متطلباتها وطلباتها لأنها في الواقع تزوجت هروبا من المستوى المعيشي المتدني وحتى تمحو اسم الفقيرة من أذهان الآخرين، كما أن في ذلك إشباع نفسي لحاجتها إلى المكانة والظهور والتميز والتقدير .

ولا يخفى على الأذهان أن السعادة بشكل عام والسعادة الزوجية بشكل خاص لا تقوم على مظاهر مادية فقط بل إن الأسى والأرقى والأفضل والأجمل والأدوم هي تلك السعادة المتعلقة بالوعي تجاه الحياة عموما وإدراك قيمة الأشياء وشعورنا بأهمية من حولنا من الأشخاص والذين لا نسعد إلا بقرهم وفي سعادتهم سعدتنا .

إن اختيار شريك من أجل ماله فقط يدل على نقص الإدراك وقلة الوعي وسذاجة الفكر ونؤكد أن مثل هذه الزجات يغلب فيها الشجار من أجل المال وتكثر محاسبة كل طرف للآخر في كيفية إنفاقه للمال ومتى وأين إلخ، وكلما تطفى الماديات تموت العواطف إذ نجد كلا الزوجين يتميز بنمط تفكير فردي ويعاتب شريكه على أبسط الزلات وأتفه التفاهات وكأن كل واحد منهما يعيش بمفرده ولا وجود إطلاقا لما يعرفه الزواج من رحمة ومودة وسكن نفسي واحتواء ودفء، ولهذا نقول أن المال وحده لا يصلح لبناء أسرة متينة الأساس وإن كان عصب الحياة فإن لها أعصاب أخرى تتكامل فيما بينها لتحدث توازنا واستقرارا .

أيضا ومن جهة أخرى أصبح العديد من الرجال يحقن المرأة الفقيرة باعتبارها لا تصلح أن تكون له زوجة لأن دافعه إلى الزواج مادي بامتياز وفي هذه الحالة لا يختار إلا من تروي له هذا الدافع وبه يتحقق هدفه الذي كان يصبو إليه عبر الزواج، وفي سبيل تحقيق هذا الغرض قد يسقط العديد من الاعتبارات كسمعة أسرته مثلا أو مستواها الثقافي بل يتنازل عن بعض حقوقه باختيار امرأة تكبره سنا وهو في هذا الحال لا يفكر في ما إذا كانت لديها القدرة على تلبية مختلف حاجاته النفسية والجنسية وغيرها وإنما

هو المال ما يربطه بها لأنه لم يتزوجها لذاتها وقد يختلف معها كثيرا لكن لا قدرة لديه على الاستغناء .

وبعض الرجال اليوم نجدهم يشترطون في شريكة حياتهم أن تكون عاملة حتى تساعدكم وإن عجزوا عن سد نفقات الأسرة تقوم بها هي ظنا منهم أن إعانته المادية واجب عليها مثلما هو الإنفاق واجب عليهم، والملاحظ أنه إذا اقترن بامرأة عاملة قد يحملها فوق طاقتها وقد يمنعها من التوقف عن العمل إذا ما فكرت في ذلك بل يصل الأمر بالبعض إلى التعنيف والتهديد بالطلاق، ومثل هذا الزواج لا يعد مستقرا لأن مكانة الزوجة فيه مرهونة بحجم الدراهم والدنانير التي تقدمها للزوج حفاظا منها على قيمتها ووزنها الاجتماعي كزوجة فالعديدات يتجرعن مرهذه الحيات على مضض لكنهن يعتبرنه أهون بكثير من الطلاق ولو كلفهن ذلك ما لهن كله .

إن هذه الروابط الزوجية التي عمادها المال قد يشوبها النزاع ويسودها الخلاف وما أكثر ما ينتهي منها، حيث لا وجود لمشاعر نبيلة ولا احترام يضبط العلاقة بينهما فالمال يزيل كل الاعتبارات لأنه الغاية الكبرى الذي يطمح إليه رغبة ولا يرتاح حتى يحصل عليه ولو على حساب أخلاقه وقيم مجتمعه وكرامته ومكانته بين الناس .

وإن كان المال شرطا أساسيا لتلبية مختلف متطلبات الحياة وسد النفقات الأسرية إلا أنه ليس كل شيء في الحياة، بل هو وسيلة نحقق بمقتضاها أغراضا لا غاية نصبوا إليها، ومن المؤكد أنه وسيلة للعيش وتلبية مختلف الحاجات المادية للأسرة وهذا ما يناط بالزوج الذي عليه أن يكون عاملا حتى يؤدي دوره المادي تجاه أسرته ولا يجوز لخاطب أن يتقدم إلى فتاة وهو في الأصل لا يعمل منتظرا منها أن تنفق عليه أو ينتظر ذلك من أمه وأبيه الذي يقيم معهما تحت سقف واحد، بل أن الرجل الذي تكتمل رجولته وتحقق مروءته هو ذلك الذي لا يرضى أن يغطي أي أحد احتياجاته المادية مهما كان الثمن وهذا هو التفكير العقلاني السوي الذي يتفق مع ما خلق الرجل من أجله . (هوادف، 2006: 26-30)

2.3 الجمال:

إن الجمال أمر ينشده الكثير في اختيارهم لشريك الحياة وبعد الجمال المقبول عاملا هاما في تحقيق الانجذاب والألفة والمودة بين الزوجين، ومن المعروف أن قبح المنظر قد

يتسبب في الحرج والنفور بينهما مما يعوق السعادة الزوجية، هذا لأن النفس البشرية مفضولة على حب كل ما هو جميل والنفور من كل قبيح .

ورغم أهمية الجمال في الاختيار للزواج إلا أنه لا يصح الارتكاز عليه كأساس جوهري يقوم عليه الزواج لأنه زائل ولا يبقى إلى حسن الخلق وطيب الأصل مع ذلك إن العديد من الشباب يحرص كل الحرص على اختيار الجميلة دون غيرها من النساء مباهيا بذلك والمشكل في أن لا تكون ذات خلق ودين وفي هذا الحال قد يفتنها ويصيبها بالكبر والغرور ومن المؤكد أن الجمال الخارجي من دون أخلاق لا يساوي شيئا، كما يشترط في جمال المرأة أن يكون طبيعيا دون افتعال وأن لا تبديه إلا لزوجها وكذلك أن يكون محفوظا بدينها .

ومن النساء من لا تختار إلا جميلا وسيما ولا تأخذ بعين الاعتبار المواصفات الأخرى من شرف الأصل وطيب المنبت وكرم الأخلاق وحسن السيرة علما أن الجمال لا يصلح منفردا لتكوين رابطة زوجية وثيقة ناجحة وما الجمال الباهر إلا مظهرا يتلاشى مع مر السنين، أما جمال الأرواح والنفوس فذاك هو الجوهر الحقيقي الذي تقوم عليه العلاقة الزوجية والذي لا ينطفئ ولا يزول .

ولا شك أن معظم النساء تتفقدن على أن جمال الرجل الحقيقي في كمال رجولته وأنفته وغيرته على العرض والشرف فضلا عن قوامته وإشعار زوجته بالدفء والحب والاحتواء والأمان .

وأعظم جمال هو جمال الأخلاق لأنه الجوهر الأصيل الذي يلقي على صاحبه محبة القلوب وانجذاب النفوس وإن جمال الخلقة في معزل عن الأخلاق لا يكون أساسا متينا للعلاقة الزوجية . (عبد الصمد، 2005: 73-75)

وأكدت دراسة نفسية أجريت بجامعة وهران من قبل الطالبة الباحثة كلثوم فقيس تحت عنوان: الشريك المثالي بين الواقع والمخيل سنة 2013 للكشف عن تمثلات الشباب حول الشريك المثالي وهي دراسة عيادية مقارنة بين الجنسين، أكدت أن فئة الذكور ركزت في الاختيار الزواجي بالدرجة الأولى على جسد المرأة وجمالها، ثم نسب المرأة وعملها .

في ما أكدت المبحوثات الإناث على معايير ومواصفات أخرى ينبغي توفرها في الشريك المثالي ألا وهي التقوى والوفاء .

ويرجع هذا التباين الملحوظ بين الذكور والإناث في تصريحاتهم إلى أن الرجل غرائزي بطبعه وهذا ما يجعله يركز على المواصفات الجسمانية تركيزا كبيرا، أما التأكيد على نسب العائلة فهو أمر ضروري لدى معظم الرجال وقد يقدمونه حتى على الدين في الاختيار غالبا، وهذا لإرضاء ذواتهم والناس من حولهم خاصة، أما الحرص على اختيار مرأة عاملة لدى معظم أفراد العينة فيعود إلى تعقد الحياة وازدياد متطلباتها مع ارتفاع الأسعار وغلاء المعيشة، كل هذه الظروف الاقتصادية أسهمت وبشكل كبير في جعل الشباب يفكرون في إشراك المرأة في سد نفقات الأسرة.

أما عن ارتكاز الإناث على التقوى والوفاء كمعيارين أساسيين لاختيار شريك الحياة فقد يرجع إلى كون المرأة تبحث غالبا عن الأمان والرجل التقى الذي يخشى الله بالغيب لا يظلمها ولا يضيع حقوقها، والوفى لا يخونها مع أخرى ولا يغيره الظروف عنها.

من الملاحظ أن الشابات لم تركزن على الجمال لأن الجوانب المعنوية عند المرأة أهم، ثم إن العرف السائد في بلدنا الجزائري يؤدي دورا كبيرا في ترتيب أولويات معايير الاختيار الزوجي، فيأتي عمل الرجل المستقر أولا ثم تليه المواصفات الأخرى، لأن مجتمعنا يؤمن بمبدأ: الرجل لا يعيبه شيء وهذا ما يجعل المرأة تتقبل غير الوسيم لو تقدم لخطبتها حتى لو كانت بداخلها رغبة في الارتباط برجل حسن المظهر قد تتلاشى تحت تأثير المحيطين بها لذلك ترسخ في أذهان الكثير من الجزائريات أن الجمال لو كان مهما في الاختيار للزواج إلا أن هناك معايير أهم. (هوادف، 2006: 37 – 39)

3.3 الحساب:

يعتبر الحساب أساسا مرغوبا في اختيار شريك الحياة وهذا سائد منذ القدم شأنه شأن المال والجمال هذا لأن الأسر العريقة أولى بأن يخطب بناتها والراغب في الزواج ينفر بطبيعته من الاقتران بفتاة من أسرة سيئة لا مكانة لها في المجتمع أو من امرأة مجهولة النسب لما في ذلك من تأثير على سمعته فضلا عن تنشئة أبنائه مستقبلا.

ومن المعلوم أن الحسبية ابنة أسرة ذات قيم وأخلاق قد يرث منها بنوها الخصال الطيبة والفضائل الراقية لذا فإننا نجد الكثير من المقبلين على الزواج يتحرون حسن المنبت وشرف الأصل في من يرغبون فيها زوجة لهم وذلك من أجل الحفاظ على مكانتهم الاجتماعية وقيمتهم بين الناس.

بالإضافة إلى أن الإنسان يحمل ويرث الطباع والأخلاق والأفكار والقناعات والمهارات الحياتية المختلفة من بيئته الأسرية التي ترعرع فيها فهي دون شك ستترك فيه أثرا كبيرا كان أو قليلا، لذا حرص الإسلام على أن يختار الشاب شريكة حياته بعناية ويتجه خاطبا من أسراتهم بالصالح والشرف والوقار حيث نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن الزواج من امرأة صالحة في المنبت السوء لأنها ستتأثر لا محال بقيم واتجاهات ومبادئ أسرتها ما يجعلها غير مستقرة في أفكارها غير ثابتة في قناعاتها، أي أن هذه المرأة قد تتأثر بأسرتها وأن أولادها سيتوارثون طبائع وتصرفات أخوالهم وخالاتهم وأجدادهم.

ويستحب اختيار امرأة من بيئة متدينة حتى تنقل إلى أبنائها الطباع الكريمة والقيم الفاضلة، وزيادة في تأكيد هذا المعنى حذر النبي صلى الله عليه وسلم أشد التحذير من الانسياق وراء الماديات والمظاهر من جمال أو مال مجردة من الأصل الكريم والنشأة الصالحة لأنها أشد خطرا وأوخم عاقبة.

وعلى هذا الأساس يكره الزواج من بنت الزنا واللقيطة وبنت الفاسق، وما أجمل ما أوصى به الحكيم العربي أكثم ابن صيفي قومه حيث قال: "يا بني تميم لا يغلبنكم جمال النساء على صراحة النسب فإن المناكح اللئيمة مدرجة للشرف"، وروي أن أبو أسود الدؤلي قال لبنيه: "يا بني قد أحسنت إليكم صغارا وكبارا وقبل أن تولدوا، قالوا وكيف أحسنت إلينا قبل أن نولد قال اخترت لكم من الأمهات من لا تسوؤون بها."

كما أنه من الضروري أن تقتزن الفتاة برجل صالح من أسرة كريمة الخلق طيبة السمعة لأنه الزوج لها فهي تنتمي إليه وتتأثر بحسبه ونسبه وهو الأب لأبنائها الذين يحملون اسمه وطباعه ويكتسبون أخلاق أعمامهم وعماتهم، ويمكن معرفة ذلك من السؤال عن أسرته والأسرة الطيبة المحترمة سيرتها معروفة في كل مكان ولذلك لما تقدم أبو طلحة لأم سليم رضي الله عنها قالت له: "مثلك لا يرد فهو مشهور بمكارم الأخلاق" إلا أن الكثيرات لا يركزن على الحسب عند الرجل الذي يقلن عنه دائما أنه لا يعيبه شيء لكن حسبه هام جدا كما سبق إيضاحه.

لكن من الناس من يختار النسب والنسبية ابن فلان وفلان بحثا عن المكانة الاجتماعية المرموقة التي يفتقدونها طوال الحياة، يبحثون عنها ولا يكادون يجدونها ما يجعلهم يحرضون كل الحرص على الزواج من ابن العائلة ذائعة الصيت حتى يكمل ما

به من نقص داخلي زيادة على لفت الأنظار إليه من أقرباء وأصدقاء وهذا أساس غير صالح لبناء أسرة، وما أكثر نسب الطلاق انتشارا إلا لوجود زيجات قد أقيمت في الأصل على معايير غير منطقية تنبع من تفكير فردي أي كل طرف يفكر في ما سيضيف له الزواج لا في الحياة الزوجية وكيفية إسعاد الطرف الآخر والقيام على رعايته، ومن يقدم النسب والوجاهة على كل شيء في اختيار شريك الحياة يمكننا أن نقول في شأنه أنه اعتبر الزواج وسيلة لبلوغ أهدافه الخاصة ومصالحه الشخصية ولا تقوم أسرة ناجحة على هذا أبدا. (سيد سابق، 1981: 46-48)

4.3 التعلم:

لا شك أن التعلم ذو أهمية بالغة في اختيار شريك الحياة، فلا يعقل في عصر كثرت متطلباته طغت عليه الحداثة والتكنولوجية والعمولة بأشكالها أن يختار الرجل امرأة غير متعلمة أو أن تختار هي رجلا غير متعلم، فحياتنا اليوم تتميز بالتعقيد على خلاف ما مضى إذ كان للمرأة وظائف محدودة وواضحة مثل القيام بأشغال المنزل والاهتمام برعاية الزوج والأبناء، ولما كانت محرومة من التعليم ساهم هذا في تمكهنها من إدارة شؤون البيت مما أهلها للزواج المبكر أي من سن الرابع عشر فما فوق أصبح بإمكانها الزواج، وبالرغم من أميتها ومنعها من التعلم إلا أنها كانت تتميز بالنضج والوعي الذي بات مفقودا لدى بنات اليوم، حيث كانت مسؤولة مدبرة وزوجة ناجحة وأما راعية لأبنائها فعلمتهم رغم جهلها وأحاطتهم بعنايتها ورقابتها إذ أن كل ما يقومون به من واجبات وأشغال كان تحت إشرافها.

ونحن بحديثنا عن المرأة التقليدية وكيف كانت نبهة وناجحة هذا لا يعني على الإطلاق أننا نقلل من أهمية العلم والتعلم بل أن تلك المرأة كانت مناسبة لتلك الفترة الزمنية التي تميزت الحياة فيها بالسهولة والبساطة، أما اليوم فقد أصبح من الضروري التي لا غنى عنها اختيار زوجة متعلمة ولا نقصد بالدرجة الأولى ذلك المستوى الجامعي وتلك الشهادات العلمية وإنما نعني بالتعلم هنا القدرة على الكتابة والقراءة مع الوعي بمتطلبات الحياة والفهم والإدراك لمهامها كزوجة وأم، بالإضافة إلى الثقافة العامة التي تجعلها مواكبة للعصر قادرة على التصدي لمختلف الصعاب والتحديات، ولا يخفى على الأذهان أن أطفال اليوم صاروا محترفين في استخدام الوسائل التكنولوجية الحديثة مما في ذلك من خطورة وأثر بليغ على سلوكياتهم وطريقة

تفكيرهم فهم لصغر سنهم يجهلون كيفية استعمالها على الوجه الصحيح لكن إذا كان للأُم ثقافة في هذا المجال فإنها قد توعيمهم وتوجه تعاملهم مع هذه الوسائل، بينما غير الواعية قد تترك هاتفيها مثلا في يد طفلها الذي يعبت به كيف ما شاء ويحمل ما طاب له من تطبيقات خاصة بالألعاب ثم يقوده فضوله إلى تصفح مواقع إباحية قد تعلمه الكثير من السلوكات المنحرفة دون أن تدري أو تشعر هي بما يفعل .

وتزداد أهمية المرأة المتعلمة في زمن تعقدت فيه المناهج التعليمية فصارت الدروس غير واضحة لدى العديد من التلاميذ وفي هذا الحال نجد الكثير من الأمهات يتولون تدريس أبنائهم فيشرحون لهم الدروس ويساعدونهم على حل الواجبات فيسهم ذلك في نجاحهم الدراسي في كثير من الأحيان، بينما يخفق الأئك الذين عجزت أمهاتهم على مساعدتهم ودعمهم نتيجة لعدم تعلمهن.

إن الزوجة غير المتعلمة في عصرنا هذا قد تثقل كاهل الزوج فهي بجهلها تتعبه أكثر مما تريحه وتشقيه أكثر مما تسعده إذ تعجز عن قراءة وصفة دوائية خاصة بها أو بأبنائها إلا بحضوره ويصعب فهمها لكثير من أمور الحياة الأمر الذي يجعله يقوم بمهام خاصة بها فتتشكل أسرة غير متوازنة من حيث الأدوار .

بينما تسهم المتعلمة المثقفة الواعية في مشاركة زوجها الدور ومقاسمته مختلف المسؤوليات فيجد برفقتها راحة وأطمئنانا ما يعزز شعوره بالرضا الزوجي والسعادة والاستقرار .

ونؤكد على لزوم اختيار شريكة حياة متعلمة مثقفة لأنها الزوجة والأُم التي تقوم على شؤون الأبناء في ظل غياب الزوج طوال النهار بالإضافة إلى أنها المربي الأول فهي التي تقوم السلوك وتصحح العادات وترسخ القيم والقناعات .

رغم كل ما ذكر عن فضل المرأة المتعلمة فإن هذا لا يعني أن تكتفي بتعلمها فلا يكون لديها مانع في اختيار زوج غير متعلم لأن في ذلك اختلاف وسوء توافق بينهما، بينما سابقا كان الأمر عاديًا فتزوج المتعلمة من أُمي والمتعلم من أُمية وكانت زيجات ناجحة، أما اليوم فقد عرفت الحياة تغييرا كبيرا وبالتالي تعقدت معايير اختيار شريك الحياة فأصبح ضروريا ما كان ثانويا يوما ما، وتبرز صعوبة الحياة مع زوج غير متعلم في تناقضه الفكري مع زوجته فلا يكون عونًا لها على القيام بدورها ولا يشاركها أهدافها والكثير من أحلامها، هذا لأن الجاهل غير المثقف همه الأكبر الأكل والشرب وإنجاب

الأولاد وإسراف المال في ما لذ وطاب، فهو يعيش الحياة كما يريد لا يحسن تدبيراً ولا يجيد تخطيطاً.

ومن المشاكل التي تعانيها المرأة مع غير المتعلم منعه إياها من مزاوله نشاطها الثقافي بل يعوق كل خطوة تخطوها في سبيل الرقي بأسرتها باعتبار ذلك شيئاً تافهاً غير مهم في نظره، والأدهى والأمر أن أبناءه قد ينفرون من حرص أمهم الشديد على تعليمهم ليجدوا راحتهم وحرمتهم التامة عند أبهم الذي يبيح لهم كل شيء ولا يلزمهم بشيء سيما إذا كان جاهلاً بالقيم والأخلاق ومهارات الحياة الناجحة.

بينما هناك من الرجال من يؤلمه وضعه هذا فيسلم قيادة البيت للزوجة ويلزم أبناءه بطاعتها ظناً منه أنها أفضل منه وأحسن معرفة وأكثر دراية وعلماء، قد ينجح مثل هذا الزواج إذا ساد الأسرة الاحترام والتقدير والتعاون والتفاهم لكن في الوقت نفسه تعاني الزوجة تعباً وإرهاقاً لقيامها بدورها ودور الزوج الذي لا يقوى على التخفيف عنها ومساعدتها إلا نادراً.

وللدلالة على أهمية التعلم لدى الأزواج أثبتت دراسة حديثة أن المستوى التعليمي للزوج المستقبلي من أهم المعايير التي تعتمد عليها النساء فيما يخص مسألة اختيار شريك الحياة. هذا ما توصلت إليه الدراسة العلمية وفسرت ذلك بتجربة شارك فيها حوالي 41.000 شخص.

وفي هذا الصدد توصلت دراسة حديثة إلى أنه بالنسبة للنساء الأقل من 40 عاماً، فإن المستوى التعليمي للزوج المستقبلي يُعد معياراً مهماً في مسألة اختيار شريك الحياة، وفق ما أشار إليه موقع "هايل براكسيس" الألماني، نقلاً عن دراسة صادرة في المجلة العلمية المتخصصة "علم النفس". وأفادت الدراسة الصادرة عن جامعة "كوينزلاند" للتكنولوجيا في أستراليا، أن النساء يُولين أهمية أكبر إلى مستوى الزوج المستقبلي التعليمي، بالمقارنة مع الرجل.

وأوضح الموقع العلمي المتخصص "ساينس ديلي" أن النتائج اعتمدت على دراسة شارك فيها أكثر من 41.000 شخص، وتم تحليل بياناتهم في مواقع المواعدة عبر الأنترنت، حيث قسم الخبراء المشاركين إلى عدة مجموعات، من أجل معرفة أبرز معاييرهم، فيما يخص مسألة اختيار شريك الحياة. وقال المشرف على الدراسة الدكتور ستيفان وايت: "تُسلط دراستنا الضوء على بعض النتائج المثيرة للاهتمام، فيما يتعلق بكل أوجه

الاختلاف بين ما يفضله الرجال والنساء عندما يبحثون عن شريك محتمل (هوادف، 2006: 54 – 60).

5.3 النضج وتحمل المسؤولية:

لا شك أننا حينما نذكر الزواج نذكر المسؤولية فهما مفهومان مرتبطان ارتباطاً وثيقاً لذا لا يصح إطلاقاً اختيار شريك حياة غير مسؤول لأن ذلك يحدث اختلالاً في توازن الأسرة التي تتطلب تكاملاً في القيام بالأدوار من قبل الزوج والزوجة كل يعي ما له وما عليه، حيث تؤدي المرأة واجها إزاء الزوج والأبناء من طبخ وتنظيف وغيرها كما تتضمن المسؤولية بالنسبة للرجل قيامه بالإنفاق وسد حاجات الزوجة والأبناء فيعالج من مرض ويهذب من أخطأ ويساعد من تعثر وهكذا، ويصلح اعوجاجاً في منزله ولا ينتظر ذلك من غيره.

ومن مسؤوليات الرجل أن يكون قواماً على شؤون أسرته فلا يترك زوجته من دون طعام مثلاً أو يدعها تشتري مختلف المواد الغذائية والخضر والفواكه من السوق بمفردها فلا تعود إلى البيت إلا متعبة مجهداً، وهو ذلك الرجل الذي يساعد زوجته في كل الأحوال وينوب عنها بأداء دورها إن هي غابت أو مرضت.

أما النضج فيتعلق بالصبر والتحمل والتقبل وسعة الصدر والقدرة على حل المشكلات ومواجهة الضغوط والتكيف مع مختلف ظروف الحياة، وإنه من الضروري اختيار شريك حياة ناضج وتحري ذلك جيداً لأن غير الناضج لا يؤدي دوره المكلف به، يريد أن يعيش الحياة كما يريد لا كما هي، ينفر من الأعباء والمتاعب، يغضب بسرعة، لا يتحمل شيء بالإضافة إلى تميزه بتفكير فردي فلا تهمة إلا نفسه ولا يبالي بالآخر ويعتبر أبسط مواقف الحياة اليومية مشكلة لا يجد منها خلاصاً بل أنه يخلق المشاكل من العدم ويتسم بردود أفعال واستجابات غير مناسبة لطبيعة ما يحصل.

كما أنه ذلك الشخص الذي لا يضحي بشيء في سبيل الآخر وإنما ينهار ويتحطم كلية إذا لم تتحقق مطالبه ويسعى جاهداً إلى تكيف الحياة حسب ما يتوافق مع رغباته وأغراضه. بينما الصالح لتكوين رابطة زوجية قوية هو ذلك المضحى المتسامح المسائر الذي يصنع نجاحاً من عمق الفشل ويساند شريكه ويقف إلى جانبه في أحلك الظروف وأصعب الأوقات ويقاسمه مر الحياة وحلوها ويعيشها معه كيف ما كانت باذلاً قصار جهده في إسعاده وإرضائه. (غرايبية، 2002: 69 - 74)

6.3 الحب:

من الطبيعي جدا ألا يقترن رجل بامرأة لا يحبها والعكس صحيح إذ أن العلاقة الزوجية علاقة خاصة وعميقة الأمر الذي يؤكد على أهمية الحب الذي لم يكن أساسا في معظم الزيجات قديما حيث لا يرى الزوج زوجته إلا ليلة الزفاف مما يجعله ينفر منها في البداية أحيانا وقد يتقبلها لاحقا وقد يدوم ذلك النفور ويطول ذلك الجفاء بين الزوجين الذين يعيشان فتورا عاطفيا وكدرا وضيقا، وما أكثر الحالات التي آلت إلى الطلاق لأن الزواج سفينة يقودها العقل والعاطفة معا للوصول بالأسرة إلى بر الأمان والاطمئنان .

أما اليوم ومع التغير الاجتماعي والتطور الثقافي أصبح لكلا الجنسين الحرية في اختيار شريك الحياة لكن المرأة لا تزال تفتقد ذلك عند بعض الأسر المحافظة حيث تكون مجبرة على الزواج من رجل لا تحبه وقد تدفع ثمن ذلك من سعادتها وراحتها وإن دامت واستمرت هذه الزوجات فبرود عاطفي يتنافى مع طبيعة تلك المرأة ونظرتها السابقة إلى الزواج وتصوراتها التي وضعتها لشريك الحياة.

مع ذلك فإن معظم الفتيات اليوم يخترن لأنفسهن من يحبون من الأزواج عبر العلاقات العاطفية السابقة لذا فإننا نجدهن يفرضن ذلك الاختيار على أسرهم ويدافعن عنه بقوة ولو كان خاطئا، وفي الحرية في اختيار شريك الحياة ما هو سلبي وما هو إيجابي والقصد من هذا ليس تأييد الاختيار الزوجي الأسري إنها حياة الشباب والفتاة ولا يحق لأحد أن يقرر في مكانهما لكن القصد أن الراغبين في الزواج يؤمنون كل الإيمان بأنه لا ينجح زواج إلا مع من يحبون من دون علم بضوابط وشروط.

لهذا الحب الذي أصبح من أهم المعايير التي يتم عليها الاختيار للزواج، مع أن الحب الحقيقي لا يكون إلا بعد الزواج فإذا قال شاب أنه يحب فتاة وهو لم يتزوجها بعد فإنه حب من أجل الحب فقط لم يتعرض لمواقف الحياة الممتحنة له فالحب ليس مجرد عواطف ملتببة وكلمات رقيقة بل هي جزء منه لأنه مفهوم واسع يتضمن الحياة بمواقفها بصعابها بملذاتها بمسؤوليتها وهذا لن يتحقق إلا في ظل الحياة الزوجية، أما ما عداها فما هو إلا عاطفة جارفة وحب جنوني لا يقبده شيء، إذ أن العلاقات الغرامية تخلو تماما من روح المسؤولية بل تكون الفتاة فيها عروسا مدللة والشاب أميرا مطاعا في كل الأحوال، ومن المعلوم أنه كلما طالقت هذه العلاقات كلما ساهم ذلك في

بناء تصورات بعيدة كل البعد عن واقع الحياة الزوجية والتي تتميز بالفتور العاطفي عند الأثك الذين لم يعرفوا للحب زمانا سوى فترة ما قبل الزواج إذ لا واجبات ولا قيود ولا يعرفون له مكانا سوى مطاعم ومرافق اعتادوا أن يتبادلوا فيها أقوى عبارات العشق والهيام ولما حولوا هذه الصلة القوية بينهما إلى مشروع زواج وجدوها قد تلاشت وضعفت لأنها لم تبدأ بداية صحيحة هذا من جهة ومن جهة أخرى إنهما قد عاشوا ما يكفي ويزيد من الهوى العميق في غير موضعه ولم يبقيا للزواج شيئا .

ولقد أكد بحث أجراه موقع "ماتش. كوم" ونشرته صحيفة ديلي ميل البريطانية وشمل خمسة آلاف متطوع، كشف أن 31 بالمائة من الرجال موضع البحث اعتبروا أنهم مستعدون للزواج من امرأة "فيها كل المواصفات المطلوبة. رغم عدم وجود علاقة حب بين الجانبين". وهكذا فإنّ ثلث الرجال الغربيين في هذه الدراسة لا يشترطون الحب في علاقة الزواج، ويرون أنّ التراحم والمودة بين الزوجين يمكن أن تحل محله .

وفي بحث نشره البروفسور آرون بن زائيف في موقع "سايكولوجي تودي" أيضا، فإن الزواج القائم على الهيام والغرام والمشاعر الملتهبة يتجاهل في الغالب عناصر الشراكة المهمة بين الزوجين من قبيل التقارب الفكري والذكاء المطلوب والتقارب الاجتماعي، وهو في النهاية اختيار رومانسي قد يزول بزوال أسبابه.

الهيام والإفتتان يمكن أن يزول بمجرد ولادة طفل يجعل الحياة غير ملوّنة وغير رومانسية بين الاثنين، فالأب لا يستطيع النوم بسبب صراخ الطفل، والأم لا تستطيع العناية ببشرتها وشعرها وأظافرها الملونة الطويلة، ولا تستطيع التعطر واستخدام المكياج حرصا على سلامة الرضيع، كما أن الولادة تؤدي غالبا الى نمو بطنها بشكل لا يناسب مقاييس الرشاقة الرومانسية.

وفي كتابه "تطور بنى الأسرة العربية والجذور التاريخية والإجتماعية لقضاياها المعاصرة"، كشف زهير حطب من معهد الإنماء العربي أنّ كثيراً من الزوجات العربية تستمر غالبا على حساب سعادة المرأة والرجل، فهما يفضلان أن تستمر مؤسسة الأسرة لتربية أبنائهما حتى إذا دبّ الخلاف بينهما ووصل الى مستوى القطيعة. كما أنّ مجتمعات عربية كثيرة ترى في الطلاق وصمة عار تلحق بالمرأة، وتجعل منها مخلوقا من الدرجة الثانية بين أقرانها .

نحن بهذا الكلام لا ننفي وجود الحب بين شاب وفتاة لم يتزوجا فالخلل ليس هنا وإنما حينما نحول هذه المشاعر الفياضة إلى علاقات كاذبة وغير ثابتة تجرد الشاب من حيائه والفتاة من عفتها مما يجلب لهما غضب الله ناهيك عن ألسنة الناس التي تشير إليهم بما لا يسر من الكلام هنا وهناك، بل الواجب أن تسعى الأسر إلى تزويج المتحابين إذا كانا منسجمين في ما بينهما تفاديا لتلك العلاقات الفاسدة والصلات المحرمة التي قد تنتهي بزواج وقد لا تنتهي.

لكن الزواج أمر بالغ الأهمية فهو الميثاق الغليظ والرابطة المقدسة لذا لا ينبغي أن نتعامل معه بعشوائية واستهانة ومهما كان الحب ضروري بين الزوجين إلا أنه ليس كفيلا بحل كل المشكلات لذا لا ينبغي الارتكاز عليه باعتباره أهم وأولى الأسس التي تبنى عليها العلاقة الزوجية، ولا غرابة في قولنا أن الحب الصحيح هو بعد الزواج هذا لأنه قد يلتقي طرفين قد يجد كل منهما أن الآخر يحمل نفس مبادئه ويتشابه معه في الميول والاهتمامات والطباع عندها قد يعجب به فيتجه إليه خاطبا ثم يتزوجا ليعيشا الحب في أبهى صورته وأسمى معانيه وهذا هو الأجل والأفضل والأبقى والأرقى. (زكريا، 1978: 66-70)

7.3 الدين:

إن الدين أول معيار تقوم عليه الحياة الزوجية وإن كل الأسس التي سبق ذكرها قد لا تساوي شيئا من دون الدين الذي يحقق للزوجين سعادة الدنيا والآخرة. ولقد حث الإسلام على الزواج من ذات الدين في الحديث الشريف: حدثنا مسدد حدثنا يحيى عن عبيد الله قال حدثني سعيد بن أبي سعيد عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (تنكح المرأة لأربع لمالها ولحسبها وجمالها ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك) (مسلم، 1467: 1466)

(تنكح) تتزوج ويرغب فيها (لأربع) لأجل خصال أربع مجتمعة أو منفردة، (لحسبها) هو ما يعده الناس من مفاخر الآباء وشرفهم. (فاظفر) من الظفر وهو غاية البغية ونهاية المطلوب. (تربت يداك) هو في الأصل دعاء. معناه لصقت يداك بالتراب أي افتقرت ولكن العرب أصبحت تستعمله للتعجب والحث على الشيء وهذا هو المراد هنا. (الجزء 5: 1958).

وهذا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم الحسب والمال والجمال ضمن المزايا المرغوبة في المرأة ثم حث على اختيار ذات الدين واعتبر العثور عليها ظفرا لما سيجنيه الظافر بها من سعادة في النفس واستقرار في العيش وتنشئة طيبة لذريته، ثم أردف النبي صلى الله عليه وسلم كل ذلك بوعيد شديد لمن يتهاون في طلب ذات الدين أو يعرض عنها مكتفيا بالمال والحسب والجمال بقوله تربت يداك أي لسقتا بالتراب كناية لما سيتعرض له من خسران في الدنيا والآخرة. وتأكيدا على أهمية وألوية ذات الدين على غيرها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: {الدنيا متاع وخير متاعها المرأة الصالحة}، (مسلم، 1467: 1958)، معنى هذا أن الدنيا متاع زائل وخير ما فيها من هذا المتاع كله المرأة الصالحة لأنها تغمر صاحبها بالسعادة في الدنيا وتعينه على أمر الآخرة وهي خير وأبقى، لذا يعتبر الدين من أول صفات الزوجة الصالحة والمناسبة قال تعالى: {وَالْمُؤْمِنَةُ الْخَيْرُ مِّنْ مُّشْرِكَةٍ وَوَأَعْجَبَتْكُمْ} (البقرة 221)، وقال أيضا: {وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ} (النور 26)، {فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله} (النساء 34)، القرآن الكريم سور البقرة، النساء، النور.

والمقصود بالدين هو الفهم الحقيقي للإسلام والتطبيق السلوكي لفضائله السامية وآدابه الرفيعة، وإذا تحلت المرأة بهذه الصفات الخلقية فإن هذا يقودها إلى أن تؤدي واجبها على أكمل وجه تجاه زوجها وأبنائها وبيتها.

الحكمة من تقديم الدين على المال والجمال والحسب والمال: قدم الدين على الحسب والمال والجمال لأنها أمور دينوية زائلة أما الدين فهو صفة خالدة ثابتة لا تزول أما الصفات الثلاث الأخرى فبلى، وإن جمال المرأة مهما كان ليرى سيئا إذا كانت سيئة الخلق سليطة اللسان، وإنها مهما كان جمالها متدنيا قد ترى حسنة لطيب لسانها وصالح دينها وحسن عشرتها وكرم أخلاقها، لذلك نبه النبي صلى الله عليه وسلم إلى صفات المرأة الصالحة فنقول لهؤلاء الشباب الذين يشترطون جمالا فائقا ذو مميزات معقدة لا تكون موجودة إلا على غلاف بعض المجالات نقول لهم ليس عيبا أن تشتروا الجمال في شريكة حياتكم ولكن قد يتعارض الجمال مع الدين وفي هذه الحالة وجب تقديم ذات الخلق الحسن، وتجدر الإشارة إلى مسألة مهمة وهي أن عدم اكتفاء الشباب بالجمال الطبيعي العادي وحرصهم على جمال شديد فاتن يرجع إلى الصور الباهية

المشرفة اللامعة من الفتيات اللاتي يروهن في المجالات والأفلام والمسلسلات وهذا يجعلهم لا يعجبهم شيء، وهنا تتجلى بوضوح الحكمة من غض البصر .

ومن جهة أخرى نجد أن الكثير من الشباب يرغب في أن تكون رفيقة عمره من أفضل النساء خلقا وأدبا بل أنهم يسألون عن كيفية الحصول على المرأة الصالحة في هذا الزمن الذي بلغت فيه الفتن ما لم يخطر على قلب بشر لكن على قدر طاعة الله عز وجل يسوق الله لك الزوجة الصالحة لذلك على من يريد فاطمة أن يكون عليها حتى يرزقه الله المرأة المتدينة التي تعينه على دينه ودينها، وهذا سر تقديم ذات الدين الحقيقي والخلق الحسن عن غيرها من النساء لما في ذلك من مفاصل ومشاكل وخلافات زوجية لأن المرأة إذا كانت ضعيفة الدين في صيانة نفسها وفرجها فقد داست كرامة زوجها وسودت وجهه بين الناس وأشعلت نار الغيرة بقلبه ووضعت نفسها محل شكوكه وعدم وثوقه، وبذلك يتنغص عيشه وتنتابه الحيرة فإن هو سلك سبيل الحمية والغيرة كان في بلاء ومحنة وإن هو سلك التساهل كان متهائنا في دينه وعرضه ومنسوبا إلى قلة الحمية والأنفة .

وإن كانت مع الفساد جميلة أو أن قلب الزوج معلق بها كان بلاؤها أشد إذ يشق على الزوج مفارقتها فلا يصبر عنها ولا يصبر عليها، وفي هذا الحال يكون مثله كمثل الرجل الذي جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقال يا رسول الله إن لي امرأة لا ترد يد لامس، قال طلقها، قال إني أحبها، قال أمسكها، لقد أمره بإمسكها خوفا عليه لأنه إذا طلقها أتبعها نفسه وفسد هو أيضا معها ورأى في دوام نكاحه دفع الفساد عنه رغم ضيق قلبه مما تفعله .

وإن كان فساد دينها باستهلاك ماله أو بأي وجه آخر فإن هذا قد يشوش عيش الزوج فإن سكت عن هذا ولم ينكره كان شريكا لها في المعصية وبهذا يكون مخالفا لقوله تعالى: { قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا }، أما إذا خاف ربه وأنكر عليها ما تفعله تنغص العمر لذا حرص وأكد صلى الله عليه وسلم على التحريض على ذات الدين حيث قال:

(ومن نكحها لدينها رزقه الله مالها وجمالها) رواه الطبراني . (الغزالي، 1432:1965)

وللدلالة على أهمية الدين وأولويته على المال والجمال والنسب قال صلى الله عليه وسلم: (من تزوج امرأة لعزها لم يزد الله إلا ذلا ومن تزوجها لماله لم يزد الله إلا فقرا ومن تزوجها لحسبها لم يزد الله إلا دناءة ومن تزوج امرأة لم يرد بها إلا أن يغضب بصره

ويحصن فرجه أو يصل رحمه بارك الله له فيها وبارك لها فيه، وقال أيضا: (لا تنكح المرأة لجمالها فلعل جمالها يردبها ولا لمالها فلعل مالها يطغىها وأنكح المرأة لدينها) رواه ابن ماجة، (الغزالي، 1432: 1327)، هذا لأن المال الكبير والجمال الفاتن والحسب الفاخر من دون دين وخلق يهذبهم أصبحوا مصدر غرور وكبرياء وتعالى وهذا أبغض ما يبغضه الزوج في زوجته. (المصري، 2006: 77- 89)

ومثل ما ركز الإسلام على اختيار زوجة ذات دين حث كذلك على اختيار زوج ذي خلق ودين لأن الأسرة تقوم على الزوجين معا لا على المرأة وحدها.

فالشخص المتدين هو الذي يخشى الله تعالى في السر والعلن ويطيع أوامره وينتهي عن نواهيه، وإن مفهوم الخشية والورع هو أن يمتنع الزوج عن الظلم والتعدي والاستهانة بزوجته فإذا أحب الشخص المتدين زوجته أكرمها وإذا كانت سيئة تستحق البغض لم يظلمها بل يحاول بشتى الطرق إصلاحها وكثيرا ما ينجح في ذلك لأن الإنسان يحب ويخضع لمن يحسن إليه ويعطف عليه، ولهذا إذا ساق الله عز وجل للفتاة شابا ذا خلق ودين فلتعلم أن الله أراد بها خيرا لأن صاحب الدين والخلق سيأخذ بها إلى مرضاة الله تعالى جل وعلا ومن ثم تكون زوجته في الجنة.

لذلك فإن الاختيار على أساس الدين والأخلاق من أهم العوامل التي تكون بها السعادة الكاملة والأبدية للزوجين والتربية الفاضلة للأولاد وهذا ما يضمن للأسرة شرفها الأصيل واستقرارها المنشود.

أما تخصيص النبي صلى الله عليه وسلم الخلق بالذكر مع كونه من الدين فإنه لمن الأهمية الكبرى في استمرار الحياة الزوجية واستقرارها، فالخلق هو الحاكم على التدين قوة وضعفا فقد يكون الرجل صاحب عبادات ظاهرة إلا أن رصيده في الجانب الأخلاقي ضعيف مما يدل على هشاشة تدينه وجهله بحقيقة الدين. قال صلى الله عليه وسلم: (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق)، (مالك، 1999: 904)

رغم الأهمية الكبيرة للدين والخلق إلا أنه قد ساد في زمننا هذا أن الناس إذا تقدم إليهم شاب يريد خطبة ابنتهم فإنهم لا يضعون على مقياس الدين والخلق وإنما يضعون على الموازين الجاهلية التي تجعل المال والجاه في المقدمة دائما بصرف النظر عن تدين الشاب وأخلاقه، وبطبيعة الحال إنهم لا يزوجون ابنتهم إلا من الغني الحسيب النسب فقط ولو كان فاسقا فاجرا أو ذو مكانة اجتماعية المرموقة لا إلى الدين والخلق، فعن

سهيل رضي الله عنه قال: مر رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما تقولون في هذا؟ قالوا حري إن خطب أن ينكح وإن شفع أن يشفع وإن قال أن يستمع له قال ثم سكت صلى الله عليه وسلم فمر رجل من فقراء المسلمين فقال ما تقولون في هذا قالوا حري إن خطب ألا ينكح وإن شفع ألا يشفع وإن قال ألا يستمع إليه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا خير من ملء الأرض مثل هذا (رواه البخاري في صحيحه، (البخاري، 2002:5091)

وهنا نستنتج ضرورة تزويج صاحب الدين والخلق والسعي له عند الناس بأن يزوجه من بناتهم فلا يردون فقره ولا دمانته ولا قلة حسبه وبهذا دعا الإسلام إلى ترك المعايير الجاهلية جانبا مع التفطن إلى للأسس السليمة لإقامة البيوت الإسلامية التي تتكون من الرجل الصالح والمرأة الصالحة. (سابق، 1981:97-99)

4. خاتمة:

نستنتج مما سبق أنه هناك معايير عديدة يقوم عليها اختيار شريك الحياة في زمننا الحالي منها ما يصلح لبناء أسرة ومنها ما لا يصلح، ومنها ما هو أساسي ومنها ما هو ثانوي فلا يجوز إطلاقا اختيار صاحب المال الكبير والجمال الفاتن والنسب العريق دون النظر في ما هو جوهري في العلاقة الزوجية من دين وحسن خلق ووعي وتعلم. وتجدر الإشارة إلى أن أهداف الراغبين في الزواج هي التي تحدد الأسس التي يعتمدون عليها في الاختيار الزواجي، فإذا اعتبروا الزواج مجرد طريق لإشباع نزوة عابرة وإرواء غريزة جنسية فإنهم لا يدققون في وضع مواصفات لشريك المستقبل، كما أن الذي يتزوج بدافع التخلص من شبح العنوسة أو فرارا من المشكلات الأسرية سرعان ما يخفق في حياته الزوجية لأن الانطلاقة ليست سليمة من البداية.

ومن الناس من يتزوج بهدف إنشاء حفل زفاف باهر ليلفت بذلك انتباه الجميع، ومنهم من يتزوج بدافع مصلحة معينة، والكثير من يعتقد أن السعادة الزوجية كلها في فستان أبيض وسيارة فاخرة وطبول وزغاريد وقاعة حفلات فاخرة.

إلا أن الزواج الحقيقي هو السعادة الأبدية التي تكون بين الأزواج الأتقياء ولو افتقدوا الجمال الكبير والمال الكثير والنسب العريض ولو كان حفل زفافهم متواضعا ولو كان مهرهم يسيرا كل ذلك لا يهم وإنما العبرة بالسعادة في ما بعد والتي تكون بالجواهر لا بالمظاهر.

الإحالات والمراجع:

- القرآن الكريم
- سيد، سابق، فقه السنة، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط 3، 1981.
- محمد، كامل عبد الصمد، فتيات في مرحلة ما قبل الزواج، الناشر مكتبة الدار العربية للكتاب، ط 1، 2005.
- أمل، مخزومي، دليل العائلة النفسي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط 1، 2004.
- محمد، فيصل غرابية، العمل الاجتماعي مع الأسرة والطفولة، دار وائل للنشر، عمان، الاردن، ط 1، 2002.
- محمود، المصري أبو عمار، الزواج الإسلامي السعيد، مكتبة الصفا، مصر، ط 1، 2006، ص 76-89 .
- إبراهيم، زكريا، الزواج والاستقرار النفسي، دار مصر للطباعة، القاهرة، مصر، ط 2، 1978.
- مالك ابن أنس، (1999)، الموطأ، دار الغرب الإسلامي، ط 1، بيروت، لبنان.
- أبو حامد الغزالي، (1432)، إحياء علوم الدين، ط 1، دار المنهاج، جدة.
- محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، (2002)، صحيح البخاري، ط 1، دار ابن كثير، دمشق.
- مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، (2006)، صحيح مسلم، ط 1، دار طيبة للنشر، الرياض، المملكة العربية السعودية.
- هوادف راج، (2006)، أساليب اختيار شريك الحياة، مجلة دراسات نفسية وتربوية، العدد الأول، البلدية، الجزائر.